



قفزة فيروسية

عن قصة الشهيد (*)

سليمان محمد سليمان الالهي

بقلم

الدكتورة سعاد عبدالوهاب

(*) تمت الاستعانة بحوثيات الشهيد من كتاب د . بنيان تركي.

قفزة فيروسية

- ١ -





953.8 عبدالوهاب، سعاد .
قفزة فروسية: قصة الشهيد سليمان محمد سليمان اللهيبي / بقلم سعاد
عبدالوهاب. ط5 - الكويت: مكتب الشهيد، 2013
24ص: 21سم. - (بصمات في تاريخ الكويت)

1 - الشهيد سليمان محمد سليمان اللهيبي.
2 - الكويت - تاريخ - الاحتلال العراقي (1990/8/2 - 1991/2/26).
أ- العنوان. ب- السلسلة

Depository Number: 2005/00352

ISBN: 99906 - 84 - 03 - 0

قفزة فروسية

- ٢ -





«إهداء»

إلى أرضي الصغيرة ...

إلى حبي الكبير ...

إلى من يستحق التضحية والعطاء ...

«إلى الكويت»

مكتب الشهيد

قفزة فروسية

- ٢ -





إن كانت المعاناة والآلام بما يصاحبها من آمال وكبرياء تتفتح أدباً وشعراً وفضاً، فذلك هو حال الحركة الأدبية والثقافية في دولة الكويت التي انتصرت وجدانياً وأدبياً للتطورات السياسية والاجتماعية والإنسانية التي عاشها العالم العربي منذ منتصف القرن الماضي، مروراً بأشهر الاحتلال الصدامي لبلدنا الحبيب الكويت.

سجلت الحركة الأدبية والثقافية في بلدنا ظهور أعداد كبيرة من العمالقة الرواد والمبدعين الكويتيين الذين تركوا بصمات واضحة في مسيرة العلم والثقافة والفكر والفن والأدب، وأجادوا فن الكتابة والتعبير شعراً ونثراً.

في مجموعتنا « **بصمات في تاريخ الكويت** » أراد مكتب الشهيد أن يسجل للتاريخ فورة غضب الكويتيين على المحتل، وإرادة النصر على الغاصب مهما كانت عدته وعديده، والرغبة في الشهادة فداءً للأرض والعرض. فعندما تحقق النصر وطُرد الغزاة حكمت اليراعات الكويتية قصص بطولات، ووثقت معارك شرف وملاحم شرسة، خاضها ضد المحتل، شبان وشابات بصدور عامرة بعشق الكويت وبقلوب مؤمنة بنصر الله.

« **بصمات في تاريخ الكويت** » تضم باقة من أدب النصر على الاحتلال، وصفحات من الكفاح لتحرير الأرض. وهي هديتنا لأبنائنا وإخواننا من هذا الجيل ومن الأجيال القادمة في بلدنا الكويت، وفي كل مكان من هذا العالم، نبراساً لتصدي الحق وانتصاره على الباطل، وشاهداً على حب الوطن وتقديسه، ووفاءً لمن ضحوا بأرواحهم فداءً للكويت.

الوكيل المساعد

المدير العام لمكتب الشهيد

فاطمة أحمد الأمير

قصة فروسية

- ٤ -





ردت العجوز بفروسية مهجنة بلهجتها الإيطالية:

- مسيو بدر نائم، ماذا أقول له عندما يصحو؟

- سليمان اللهب ينتظر الساعة الثالثة على قهوة أبوناشي.

نظرت خلفها، غمزت بعينها ذات الزرقة العجيبة في سن الشيخوخة، همس لها بكلام، لم تفهمه. أخذ السماعه من يدها:

- اللّهُ بالخير أبو داود.. (لم ينتظر الجواب) إذا كانت التحويلات وصلت من التعليم العالي.. تراني صاحي، وإذا لم.. أنا نايم حتى إشعار آخر ابتمس سليمان لطريقة صديقه التي لا تتغير، ورأى أن يبادل العبث، فقال: وصلت التحويلات ولكن الصرف بعد يومين...

قال بدر وهو يضع السماعه بحدّة: بعد يومين.. صبحيني.

قهقهة سليمان في غرفته الخالية، وبحث عن كتابه الذي اختفى بين ثنايا الجرايد والمجلات. أمسك بالقلم وراح يضع خطوطاً تحت الكلمات لعله يستجلب التركيز، ولكن ذهنه المتوتر القلق وراح يضع خطوطاً تحت الكلمات لعله يستجلب التركيز، أمسك ذهنه المتوتر القلق لم يستجب له، وظلت أخبار الصحف الصباحية تغلي وتفور في رأسه تكاد تصدع جدرانه.

في الثالثة إلا الربع عاود الإتصال ببدر:

- لا تقل إنك غير موجود، وأنك لم تولد بعد.. ربع ساعة وأشوفك على أبوناشي.





وسبقه بأن وضع السماعه، وانطلق إلى مكان اللقاء.
في الثالثة تماماً كانا يجلسان وجهاً لوجه وبينهما طاولة رخامية
يتوسطهما مفرش من القطيفة الحمراء. بسط بدر كفه قائلاً:
هات.

- ماذا؟

- التحويل. صرفنا ما في الجيب، فهات ما في الغيب!!
وضع سليمان أمامه رزمة الصحف وهو يقول: هذا ما في الغيب
يا صديقي.. اقرأ.

التوى بوجهه إلى ناحية، راح يبحث بعينه عن الجرسون، قال
باقتضاب: قرأت.

- وفهمت؟

- وما فيها شيء يستحق الفهم.. إن كنت تقصد.. ما فيها شيء..
اسمع إذاعتنا وأنت تعرف كل شيء.

قال سليمان: إذا اكتفيت بسماع إذاعتنا وحتى قراءة صفحنا..
لن تعرف أي شيء.

قال بدر: لا أصدق أنك بصفة خاصة تقول هذا، لو قاله غيرك
لا تهتمه بضعف الوطنية والتجرد من الإنتماء.. لكن ينسب هذا إلى
سليمان محمد سليمان اللهيبي.. هذا مثل طلوع الشمس من المغرب..
هات التحويل واتركها على الله..

- ونعم بالله، نتركها على الله نعم، ولكن كيف؟ ومتى؟





ضحك بدر بنفس طريقته المسترخية وهو يقول: ها.. كيف، ومتى.. هذه علمها عند أهل الحل والعقد، وزير الخارجية، سمو رئيس الوزراء.. أنا وأنت هنا.. لندرس.. ونعيش.. ولكل حادث حديث.

قال سليمان جاداً: أحسنت.. لكل حادث حديث.. وأقول لك من الحين.. إن شيئاً ما سيحدث في الكويت في مدى يومين أو ثلاثة. اقرأ هذه الصحف.. أخبار صغيرة ولكنها ستدلك..

- أقول لك للمرة العاشرة أهمل هذه الصحف.. عندي مثل ما عندك كل صحفنا القبس والوطن والسياسة والرأي العام.. إلخ. هل تجد فيها أي توقع لأحداث مهمة؟ كله كلام في كلام.

- صح.. كله كلام في كلام.. أنا أسالك يا بدر.. ما اسم هذا المقهى الذي اخترناه للقائنا؟!

- أبو ناشي!!

- أبو ناشي في جنيف؟ أسألك اسمه الحقيقي؟

- والله نسيت.. تعودنا.. وبصراحة هذا الاسم يناسبه.. ربما هو المقهى الوحيد في هذه المدينة الذي تتوسط حديقته نخلة، ويقدم الأرجيلة والقهوة التركي بالهيل.

- اسم هذا المقهى فرايسمبلانس..

- نعم، تذكرت، ومعناها إنه أشياء تشبه الواقع.. أشياء طبيعية يعني..

- تقريباً - لكن لماذا فضلنا أن نطلق عليه - تطوعاً - مقهى أبوناشي؟





تيمنا بذكريات الوطن..

- وصعوبة الاسم الأصلي..

- نسينا الأصل وصدقنا الاسم الذي اخترعناه..

- صح لسانك..

- والآن إقرأ صحف الكويت، صحف الأقطار العربية كلها..

تجد أنها تبني أخبارها وتحليلاتها على الكلام، على التصريحات، وتصريحات المسؤولين كلام منمق ليس له طعم. هذه الجرايد أمامك من أمريكا ومن جنيف نفسها لا تبني تحليلاتها على التصريحات، وإنما على التحركات الفعلية المرصودة بالأقمار الصناعية.. هذه صحيفة أمريكية وصلت اليوم.. إقرأ الخبر عن تحركات ومواضيع تجمعات الجيش العراقي.. ستعرف على الفور ماذا يمكن أن يحدث قريباً.. بل قريباً جداً..

كان سليمان قد أحاط الخبر في صدر الصحيفة بدائرة من

القلم الأحمر، فلم يبذل جهداً في الإحاطة بالفحوى.

غاب الصفاء من نظرة بدر، وظهر القلق في رجفة يده وهو

يتناول قرح القهوة. وقال:

- حتى لو كان.. ماذا أستطيع أنا وأنت أن نفعل؟

قال سليمان بإصرار وكأنه قد فكر في الأمر طول الليل: تضع

كلمة «يجب» مكان كلمة «أستطيع»، وستعرف على الفور ماذا تفعل؟





وأخرج سليمان من جيبه تذكرة طائرة، تغادر جنيف إلى الكويت مباشرة عند الغروب. وقال لبدر: حجزت لك بالاسم فقط إذا كنت ترغب، وهذا يتوقف على إرادتك.

- أنت فاجأتني.. أحتاج وقت لأفكر..

- لا يتسع الوقت للتفكير.. نفكر في الطائرة.. نفكر ونحن هناك..

قال بدر متعجباً: بالطائرة.. هناك؟ أنت هنا تفكر بطريقة أحسن..

قال سليمان: لا بد أن أنصرف لأعد حقيبتني.. سأتوقع جلوسك في المقعد المجاور.. مع السلامة..

أوشكت شمس العاشر من أكتوبر (١٩٢٠) أن تغيب. أصدر الشيخ سالم أوامره بالإنسحاب وإعادة التجمع كي يعيد توزيع قواته حسب تطور المعركة. كان فلاحو القرية أنفسهم يمثلون خط الدفاع الأول جنوب الجهراء، أما فرسان شمر بقيادة ابن طوالة فكانوا جناح الدفاع الأيمن، وكان الشيخ دعيج على رأس فرسانه جناح الدفاع الأيسر.. وبقي الشيخ علي الخليفة قائداً للقلب، يحتفظ لقواته بحرية التحرك إلى الجبهات. احتشد العدو منذ الصباح الباكر، وقبل أن تكمل الشمس شروقها بدأ الهجوم. لقد اختار قطاع الفلاحين، لما يعرف من ضعف تسليحهم، وعدم وجود فرسان بينهم، ولذلك اختار العدو أن يهاجمهم بفرسانه، وقد صمدوا بضع ساعات من ذلك النهار الحار، برغم غياب الطعام ومياه الشرب وإسعاف الجرحى. لم تكن هناك خطة لتحريك الجبهات الأخرى





قال الشيخ عبدالعزيز الرشيد: هذا هو الأحوط

الشيخ سالم: نتحرك في اتجاهين: إرسال رسول إلى الكويت يبلغ بما جرى، ويأتي بمساعدة من الرجال والسلاح. وكذلك وضع خطة لضمود القصر للحصار، وفك الحصار من حوله بالسرعة الممكنة.

قال الشيخ عبدالعزيز: المفاوضة يمكن أن يكون لها دور فاعل في هذه الظروف. الشيخ سالم: أنا أفهم ما ترمي إليه يا شيخ.

الشيخ عبدالعزيز: وشروطنا؟

الشيخ سالم: أنت مستشار. والمستشار مؤتمن، والمهم الانسحاب وتسليم كل ما استولوا عليه من خلال أهل الجهرة، أو أي شخص في الكويت لا تنازل عن هذين الشرطين.

صمت الشيخ سالم قليلاً، أخذ رشفة من فنجان القهوة وأوماً لفداويه الخاص أن ينصرف، وكذلك للتابع حامل دلة القهوة. لم يعد في المجلس غير أعيان الكويت وأميرهم ابن الصباح.

قال: أريد حالاً مرشد الشمري، ومرزوق المتعب الرشيد..

فهم الشيخ الرشيد معنى الطلب، فقال: هل يكفي أحدهما ليسهل تسريبه من بين قوات الحصار؟

قال الشيخ سالم: بل الفارسان معاً، إذا تمكنا من أحدهما يفلت الآخر، وقد يكون أحدهما عوناً لصاحبه..

في غيبش الغروب اعتلى مائة مقاتل سقف القصر الأحمر، وفي ثوان متتابعة انطلق البارود يدوي وكأن السماء تمطر رصاصاً،





استولى الهلع على العدو الذي يحيط بالقصر من جميع الجهات، إذ تخيل أن هجوماً عاماً قد بدأ، فاضطربت الحلقة وانفجرت فيها ثغرة، نفذ منها الفارسان مرشد ومرزوق، كما ينفذ السهم في جدار خيمة بالية.

اختلط صوت سنابك الفرسين المنطلقين في اتجاه مدينة الكويت بأزيز الطائرة التي دخلت الأجواء الكويتية حالاً وراحت تستعد للهبوط.

منذ عامين فقط اشتبك سليمان مع مدرس التاريخ في ثانوية الدعية، في جدل حاد حول هذه النقطة بالذات. هل كان الموقع الصحيح لمرشد الشمري ومرزوق الرشيد أن يبقيا مع المحاصرين في القصر الأحمر ليشاركوا في الدفاع ويوجهوا نفس المصير مهما كان، أم أن يغامروا بالإفلات طلباً للنجدة؟! ماذا لو أنهما اعتذرا عن المهمة؟

قال المدرس: لا يحق لهما أن يعتذرا، فهذا أمر ممن يملك إصدار الأمر.

والقائد يرى أكثر من الجندي، لأن كل المعلومات تتجمع عنده. وإذا رجعت إلى النتيجة، لقد جاء أهل الكويت بعدة سفن مشحونة بالسلاح، وبالمقاتلين.. وهذا أثر في ميزان المعركة.

قال سليمان: إننا نحلل الواقع التاريخي، والمعروف أن المجموعة المحاصرة في القصر هي التي حققت الانتصار على العدو وأجبرته على الانسحاب.. أما الضغط الذي مارسته القوة القادمة من الكويت فكان يشبه ضغوط الدعاية وإطلاق الشعارات في عصرنا هذا.





قال المدرس نافذ الصبر من مجادلة تلميذه، بينما يحرص هو على الانتهاء من الدرس حسب خطة توزيع المقرر:

- والخلاصة يا بني؟

- الخلاصة أن المكان الحقيقي للفارسيين كان في داخل القصر، ومنازلة العدو، والمشاركة في المصير مع الجماعة.. أما توصيل رسالة إلى العاصمة فكان يمكن الاحتيال عليه بأي طريقة أخرى، أو بأي شخص آخر ليس فارساً.

- يعني!!

- يعني يا سيدي الأستاذ.. لا شيء يعوض الفارس الحقيقي عن القتال الفعلي من أجل وطنه!! ماذا لو أن الفارسان لم يذهبوا؟ المعركة كانت قد حدثت!!

وتلامست عجلات الطائرة وأرض الوطن، فسرت روح في جسده المرهق، ولم تمض لحظات حتى كان في صالة الوصول، ومنها تحدث مع أسرته بالهاتف تصادف أن جدته كانت الطرف الآخر، بادرتة:

- كلنا بخير، أمك وأخوك علي وجميع الأهل.. خليك عندك يمّه.. عندنا حر وطوز، وبنفكر نساfer عندك.. خليك يا سليمان.

- وين أخليني يا جدتي؟

- بسويسرا..

- أنا بالمطار!!

- مطار سويسرا!؟





- مطار الكويت يا جدتي.. قولي لعلي يحضر بسيارتي..
صدمة. صمت.. أفلتت الكلمات مرتجفة: إنا لله وإنا إليه
راجعون.. لم تكن لدى أحد الفرصة ليسأله لماذا حضر في هذه
الظروف، فقبل أن يصفّ ثيابه في خزائنه كانت أخبار الغزو تقتحم
الشوارع والبيوت وتكتسح القلوب. حاصرته عيون أهله بالكلمة، التي
لم يقلها أحد صراحة: لبتك ما حضرت.. أكثر الناس تفكر الآن كيف
تتجو بنفسها من مواجهة الإعصار. جلس على السجادة واستند على
الكرسي الضخم بظهره، وقال: تأخرت، الواجب أن أكون هنا من
يومين على الأقل.

قالت الأم: نريد تخزين بعض الطعام.. لا نعرف ماذا سيحدث.
وقال علي - الذي يصغره بعام واحد: ماذا سنفعل؟ كنت أمارس
النشاط الصيفي مع أصدقاء البيئة.. أعداء البيئة شغلوا المكان!!

قال سليمان: البدوي أعطانا النموذج، حين يهاجمه الطوز يحمي
عينيه وفمه وأنفه بشماغه، ولا يواجه الهواء المترب بوجهه، إلى أن
تهدأ الأمور، ثم يبدأ في الحركة.. ومثل ما قال بدر هناك: لكل حادث
حديث دمعت العيون.. ولم تدمع له عين.

شهقت الصدور.. واحتبس نفسه وانتظم كأنه نائم يحلم وارتجفت
الأيدي عصبية، والأصوات توترا.. ولم يتغير فيه شيء..

خافت الأم، وخافت الجدة من حالة الصمت التي غرق فيها..
لكنه اختبأ داخل نفسه، اليوم من آب الأسود. في اليوم التالي سكن
الغبار بعض الشيء، وظهرت بعض ملامح الصورة.





حينئذ.. أمسك بسماعة الهاتف وبدأ تكوين مجموعته التي تبدأ بأخيه علي، وصديقه وزميله القديم بدر الخضاري، وصديقه الآخر ناصر الهاجري.. وغيرهم. ودعاهم إلى أول اجتماع في سرداب بيت جدته.

فشلت المفاوضات، أو على الأقل تعثرت. وافق الغزاة على الانسحاب من حول القصر الأحمر، ومن الجهراء كاملة، ولكن مندوبهم تمسك بحقهم في الاحتفاظ بما أخذوا من غنائم الفلاحين وممتلكاتهم من الجمال والخيل والخراف والبقر بدعوى أن هذه غنائم حرب ليس لأحد الحق فيها باستثناء المقاتلين الذين استولوا عليها. وتمسك الشيخ سالم بمبدأ أن الغزو باطل واعتداء، وكل ما ينتج عن الباطل هو باطل مثله، وخطأ واجب التصحيح، ولذلك لا بد من إعادة كل الغنائم المزعومة لأصحابها، لأنها ليست غنائم، بل هي اغتصاب واختلاس ولوح المهاجمون بأنهم مع دخول الليل سيتقدمون لاحتلال القصر الأحمر واستباحة دم ألف إنسان معتصمين بداخله، سواء كانوا من المقاتلين أو من الأطفال والنساء، وثبت الشيخ سالم في موقعه ولم يهادن، وقال: هذه بلادنا وسندافع عنها، وليس في الهزيمة عار، الفرار أو التسليم هو العار..

قال مندوب الغزاة: اعترفوا على أنفسكم بالكفر، وادخلوا الإسلام واعتنقوا مذهبنا حتى نرحل..

فقال الشيخ سالم: الدين لله وليس لكم، ونحن لم نخرج من الإسلام حتى ندخل فيه، وحرية المذهب مكفولة للجميع..

كان يطيل في المحاوراة حتى تأتي النجدة من الكويت.. كان يحسب مدة وصول مرشد الشمري ومرزوق الرشيد، ومدة: إعداد





الرجال وجمع السلاح والصعود بالسفن أو بالهجن إلى الجهرة.. بل كان يفترض احتمالات يائسة.. أن الفارسين تعرضوا للأسر أو القتل.

وكان المهاجرون يطيلون في المحاورة على أمل أن ينتهي المخزون في القصر من الطعام والماء، وأن يتساقط المحاصرون في داخله بالسهر والإعياء، فيتم لهم النصر دون تقديم ضحايا والمخاطرة بالهزيمة..

حين يتس المهاجرون من المفاوضات، وأن الكلام لن يوصلهم إلى تحقيق أهدافهم، وأن المحاصرين داخل أسوار القصر لن يكونوا معهم شركاء في المذهب وأسلوب الحياة.. قرروا تحقيق مبتغاهم بالقوة.

بدأت الدائرة الواسعة تزحف من جميع الجهات.. وتضيق.

كانت الدائرة الزاحفة من حلقات متتابعة.. تتسع.. وتتسع من حول القصر حتى تشمل الجهراء من جميع الجهات.

لم يعد بين الدائرة الأولى المهاجمة وأسوار القصر ما يزيد على قذف حجر، أو وثبة فرس.

كانت قوة الدفاع في الداخل قد كتمت أنفاسها ملتصقة بالسور، وعمرت بنادقها بالبارود، وفي الاصطبل الخلفي امتطى الفرسان خيولهم وشحذوا سيوفهم وحشوا بنادقهم، واصطفوا خلف الباب الكبير ينتظرون الإشارة. الحلقة الزاحفة تتقدم، أنفاس رجالها المتصاعدة ترسل سخونتها تلفح الأجسام فيشعر الجميع بالقوة والقدرة على الاقتحام..





فجأة..

تحولت ثقب مجهولة في جدران السور إلى عيون العفاريت التي ترمي بشرر حارق، فلم تمض ثوان حتى تعالى الصراخ وطلب النجاة.. سقط الصف الأول وارتفعت رائحة البارود المحترق، وتراجع الصف الثاني فتولى دهس الصف الثالث.. وولت الحلقات الأدبار، تاركة ما زعمت أنه غنائمها، على قارعة الطريق..

- الحيلة يا إخواني تغلب القوة، القنض يحتمي بأشواكه فلا يقدر التمساح على افتراسه.

قال بدر الخضاري: وما الحيلة في السيطرات؟ وما الحيلة في السيارات التي تنسد بين البيوت كما تنسد ذرات الرمل في العيون؟

قال سليمان: نعمل ما لا يخطر لهم على خيال..

تلهف الجميع وحبسوا أنفاسهم.. - نصادقهم!!

- نقيم مع أفرادهم علاقة كلام وسلام، نعرفهم عن قرب، وهذا يكشف لنا نقط ضعفهم..

اعترض أخوة علي: أولاً لن يصدقوك، وسيكونون مستفيدين أكثر منك، وثانياً هذه الصداقة لن تفهمها جماعات المقاومة الأخرى، ولن يوافق عليها من لم يعرف سببها الحقيقي من الناس..

قال ناصر الهاجري: يعني سنكون عرضة لتهمة الخيانة والتعاون مع العدو..





أطلق سليمان نفساً حبيساً وقال: لا بأس.. نجرب.. أقول..
دعوني أجرب وحدي.. سأكتفي منكم بالمساندة من بعيد.

مع نقطة السيطرة المتمركزة على مدخل القطعة أقام علاقة، بدأ
الآخر بها فكانت الظروف مناسبة وبعيدة عن الشك. في الليل دق
ثلاثة جنود الباب، فتح لهم، وأمدهم بما طلبوه من الماء البارد، ووقف
يتحدث معهم.. تطوع بتقديم السجائر، وحين أخبروه بأن عندهم
الكثير منها لأنهم اقتحموا الجمعية التعاونية، مازحهم وقال: إذن أنا
الذي أستحق إكرامكم.. ولن أشرط الماركة..

شربوا الماء البارد، وأخذوا بعض علب العصير وقوالب الثلج،
وأوراقاً ليكتبوا عليها رسائل لأهلهم في العراق. أظهر أمامهم غرامه
الشديد بكرة الطاولة، واستأذن في أن ينصب طاولة أمام بيته - على
الرصيف - يلعب هو وأخوة!! لم يكن هناك سبب للرفض، بل ربما
لقي شيئاً من الترحيب، لأن اللعب (العلني) يجعل الشباب تحت عين
المراقبة ويسلي الوقت. قلده (عيال) الجيران ونصبوا أمام منزلهم
طاولة أخرى..

أثناء اللعب، بعض الكرات كانت تذهب بعيداً عن موقع نقطة
السيطرة، قد تصطدم برأس الجندي أو بجذائه، وهنا قد يلتقط
الكرة ويعيدها مبتسماً، أو يكشر ويدهسها بقدمه، وربما أهداها له
سليمان الذي يراه مندهشاً بحجمها وخفتها..





كان سليمان وحده يعرف سرّ هذه الكرات المتجاورة، ولا يسمح لزميله في اللعب بلمسها، فقد غمسها في سم بطيء المفعول! أما الكرات التي تسقط بعيداً في فناء البيت المجاور، أو على أسطح الجيران، فكانت عليها حروف باهتة، مشفرة تحمل رسائل لشباب من الصامدين في مواقع أخرى. في سرداب بيت الجدة كانت اجتماعات جماعة «مرشد الشمري». اختار لمجموعته هذا الإسم حتى يعيد للفارس يوم معركة الجهراء اعتباره. لقد شكك في بطولته، ولكنه الآن يعرف أنه من المهم جداً في التصدي للعدو أن نقابله جماعة، ولن يكون هذا إلا بتناقل المعلومات والاتصال والتسيق، وهذا بعض ما تؤديه كرات الطاولة الطائرة بين الأسطح وساحات البيوت.

اعترضت الجدة على ما يفعله الحفيد، الذي لم يتجاوز التاسعة عشرة من عمره، مثله لم يجند في الجيش، فكيف يطالب بالقتال وهو لم يدخل أي تدريب، وصغر سنّة يعرضه لخطر الإيقاع به. لم يعترف سليمان بمبدأ الخوف، ولا مبدأ السلامة، وقال لجده: الحذر يكفي. قالت: الحذر لا يمنع القدر، قال: هذه حكمة غالية وأن أخذ بها، فالقدر هو الكلمة النهائية في حياة الإنسان. ضاقت الجدة بالحوار وتساعد خوفها على سليمان، فنهرته قائلة: هذا بيتي ولا أريد تعرضه للخراب، اجتمع مع ربك في بيتك. قال: ولكن يا جدتي بيتنا قريب من موقع السيطرة، وهناك نلعب الكرة، وعيونهم.. كيف نجتمع؟ قالت: ما عليّ من لعبكم، لا تجتمع في بيتي..





أظهر الطاعة ولكن الاجتماعات استمرت، وكان الدخول إلى السرداب من ثغرة في جدار كراج السيارة المفتوح على السرداب يتم دون شعور السيدة العجوز، سواء كانت حاضرة أو غائبة، وفي هذا السرداب خبأ المواد التي يستخدمها وكميات الذخيرة التي جلبها من فوائض بعض خلايا الصمود ليوصلها إلى خلايا أخرى تحتاجها. لقد اكتشف أن غضب جدته من عقد اجتماعاته عندها، واعتقادها بأنه انقطع عن هذه الاجتماعات في مصلحته، لأنها أصبحت أكثر اطمئناناً، وبذلك أصبح سلوكها طبيعياً، وأخذت تغادر بيتها إلى بيت ابنتها (أمه) في أي وقت دون خوف.

كانت إرادته تشتعل بالرغبة في أداء عمل كبير، عمل مؤثر على العدو، إنه يثمن دور الشمري والرشيد في نقل الأخبار والتسيق بين المدافعين، ولكنه يريد أن يكون خلف القصر الأحمر أيضاً، يفتح نافذة جهنمية على الصف الأول، ويرى بعينه غرور المهاجم وغطرسة المعتدي وهي تتحول في لحظة إلى دماء وعويل وهرب. لا بد من عملية كبيرة تدوي في سمع الوطن لترفع الروح المعنوية، وتدوي في سمع العالم ليعرف أن الكويت لم ترسخ، وأن البلد الصغير يستطيع بالحق والفداء أن يهزم اعتداء الأقوياء!!.

إن سنه الصغير الذي يرشحه إلى طالب في المرحلة الثانوية، وقوامه النحيل الذي لا يؤهله إلى أداء عمل عنيف ساعده على مهمة لعب كرة الطاولة على الأرصفة، مع علي أخيه حيناً، ومع من يتفق وجوده من أصدقاء خارج مجموعته حيناً، بل مع نفسه حين لا يجد أحداً، وكان يترك للكرات أن تتطلق مع تيار الهواء في الشارع





ليتابعها، ويعيد جمعها، وهو يرسم في مخيلته منافذ الأماكن، ومواقع تجمعات الجنود، ومكامن سياراتهم المخفية في مداخل المباني الحكومية..

استقر الاختيار على مخفر النزهة، لو حدث، لو تم بنجاح، كم من الضباط السفاكين لدماء شعبه سيذوقون الجحيم على يديه؟
الآن تحدد الهدف. سيأخذ عليه موافقة «الجماعة»، لمناقشة الوسائل والتوقيت وتأمين العملية. المتفجرات موجودة - تقريباً - عنده في السرداب ما يكفي، سرداب بيت الجدة. لكن هل تكون الطريق إدخال قنبلة موقوتة مموهة، أم بهجوم مباغت قبيل الفجر، أم بتفخيخ سيارة يقودها بنفسه ويقتمح بها مدخل المخفر؟!

«لابد أنها كانت قفزة فروسية رائعة، تلك التي قفزها الرشيد والشمري من داخل القصر الأحمر، لينطلقا بفرسيهما إلى أهل الكويت بقصد إبلاغ الرسالة وتحفيز المقاومة» كان في بيته متحلقاً مع العائلة حول الغداء. كان الطعام فقيراً جداً، فبعد سبعة وثلاثين يوماً من الاحتلال ونهب الأسواق لم يبق في البيوت شيء. لكنه كان راضياً بأن الجميع في سلام، حتى جدته، التي كانت تعتقد أن لعب كرة الطاولة هو شاغله الوحيد، بدت راضية عنه. قرب انتهاء الطعام نظر إلى ساعته.. وحده أخوه علي عرف ما يقصد. إنهم على موعد لبحث خطة مخفر النزهة، إلى السرداب في بيت الجدة يتسللون.. شخص واحد كل نصف ساعة.. حتى يتم التجمع، وقد حان وقت ذهاب علي.. سيكون سليمان الأخير، وسيكون هذا الاجتماع الأخير تمهيداً لعملية النزهة.





قبل أن يرفع الطعام كانت ثلاث سيارات جيب تحاصر البيت. اتصل الاقتحام بالتفتيش الفوري الشامل، باحتجاز الجميع في الديوانية قرب المدخل، أشار على الجميع بعدم إظهار أي مضايقة حتى لا يتخذونها سبباً في تدمير البيت او تحطيم الأثاث.. كان مطمئناً إلى أن البيت ليس به أي سلاح. لكنه كان مخطئاً في هذا، فقد كان «علي» حصل على رشاش، ولم تكن عنده فرصة لإخباره، أو لنقل الرشاش إلى بيت الجدة. وهكذا عثرت قوة التفتيش على هذا الرشاش مفكوكاً إلى قطعتين وموضوعاً في داخل جهاز تكييف قديم، صدئ، مهمل في غرفة السائق السيلاني، الذي عاد إلى بلاده!!

كان ظهور الرشاش مفاجأة لسليمان، ولم يكن كذلك لعلي، ومع هذا فإن سليمان هو الذي أسرع بالجواب:

- هذا بيت أبي، وهذا الرشاش أنا المسؤول عنه، والمسؤول عن أي شيء آخر في هذا البيت.

كان قد «حسب» الموقف كله في أقل من لحظة.. لا بد من حماية علي، وعدم تعريضه للتعذيب، ولا بد من إشغال المجموعة، بأن يقتادوه ويحققوا معه حول الرشاش حتى يعرف باقي الجماعة في سرداب بيت الجدة بما جرى ويتمكنوا من الهرب ونقل الذخيرة والمنشورات، ولا بد من الاعتراف السريع بملكية الرشاش حتى لا يلحق الأذى بأمه وجدته.

يا للسخرية المريرة.. لقد جرى التحقيق معه في مخفر النزهة، إنه لا يمانع الآن أن تقوم مجموعته بنسف المخفر وهو فيه ولكن





خطوط التنفيذ واحتياطاته مكتوبة في ذاكرته وليس في أوراق، فهل يستطيعون؟ كان حلمه بنسف المخفر يساعده على تحمل التعذيب، بعد أن تم نقله إلى معتقل نادي كاظمة الرياضي. هناك كان «اللعب» دون قواعد أو قوانين أو حكم، كان النادي قد تحول إلى مجزر آلي، يتم فيه سلخ الجلود الأدمية وتحويل الجسد الذي كرمه الله وأمر بستره إلى أشلاء عارية. إنه يعرف الآن أن الفرق بين الشجاعة والجبن صرخة واحدة، بل دقيقة صمود واحدة يأتي بعدها الموت المريح، ولا يعطي العدو فرصة الشماتة والراحة. إنه الآن سعيد جداً لأن سر كرات الطاولة الملوثة بالسم البطئ قد عرف، لقد تكررت إغماءات الجنود في تلك النقطة للسيطرة، ومات أحدهم، وأصيب آخر بالشلل، فوجد التلوث بالسم على مقبض السلاح، وقد أدى هذا إلى كشف المصدر الحقيقي.. وهو كرات الطاولة المهملة حول الموقع. لقد دفعوا إلى جوفه عدداً من الكرات نفسها، وثقبوا فخذه بمثقاب كهربائي.. ثم نقلوه من زحم الغرف المغلقة إلى عزلة كاملة حتى ينهار نفسياً، لكن ذكرياته وإرادته الحديدية كانت تسعفه، إنه يتذكر الآن مجلسه مع بدر آخر يوم على قهوة أبو ناشي في جنيف، ويتذكر رحلته في الطائفة، وحواره مع المدرس حول معركة الجهراء، والحلم الذي يعيش من أجله، نسف مخفر النزهة.. لكن كيف سيفعل هذا وهو الآن.. لا يستطيع المشي على قدميه!١٩.





أخيراً.. أركبوه سيارة بعد سبعة وثلاثين يوماً أخرى من التعذيب..
أمام منزله.. في المكان الذي شهد نصب طاولة الكرة، وتصويبات
المضرب الذكية المسمومة في اتجاه الجنود.. قيدوا يديه خلفه، ألقوه
على بطنه.. التقطت أذنه تجهيز السلاح للإطلاق.. تشهد. استحضر
صورة الرشيد والشمري.. يا لها من قفزة فروسية رائعة، أوصلت
الرسالة.. وبلغت الأمانة!!.

